

نماذج لاعنفية فلسطينية في مواجهة الأزمات الداخلية



ضمن أنشطة مشروع
تعزيز ثقافة اللاعنف
إعداد
اسلام موسى (عطا الله)
طلال أبوركبة

نماذج لاعنفية فلسطينية في مواجهة الأزمات الداخلية

ضمن أنشطة مشروع

"تعزيز ثقافة اللاعنف"

تنفيذ

مؤسسة بال ثينك للدراسات الاستراتيجية



سبتمبر 2020

ان الآراء الواردة في هذه الورقة لا تعبر بالضرورة عن رأي بال ثينك للدراسات الاستراتيجية أو الجهة المانحة

نماذج لاعنفية فلسطينية في مواجهة الأزمات الداخلية

طلال أبوركبة / اسلام موسى (عطا الله)

مقدمة

تستند ثقافة اللاعنف في المجتمع الفلسطيني إلى رصيد تاريخي كبير من التسامح والعيش المشترك الذي عرفته الثقافة الفلسطينية على مر التاريخ، حيث كان الفلسطينيون يشكلون على الدوام شعباً واحداً، إذ يشتركون في البيئة الثقافية والحضارية والسياسية نفسها ولهم تطلعات مشتركة ومستقبل واحد، ولم يكن اختلاف الدين في يوم من الأيام سبباً لنزاع أو شقاق، ولقد عاشوا (مسلمين ومسيحيين ويهود) على مدار 15 قرناً، ترسخت خلالها فيما بينهم ثقافة التعايش واحترام الآخر ويظهر ذلك في العديد من أوجه الحياة منها تساكنتهم في نفس القرى والمدن والاحياء، فالتوزيع السكاني تاريخياً يظهر تركيبة سكانية لا تعتمد على الدين، كما أنهم اختلطوا في المؤسسات الاجتماعية والتربوية والسياسية¹، فالشعب الفلسطيني شعب واحد ينتمي إلى أرض واحدة، يجمعه التشاكر والتعاون على كافة الأصعدة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وقد ظهر ذلك جلياً في التاريخ المعاصر لفلسطين.

ولقد كرس وثيقة الاستقلال التي أقرها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة عشر في الجزائر 1988، بصفتها المرجعية الدستورية لكل الفلسطينيين، التسامح وثقافة اللاعنف كسمة من سمات الشعب والثقافة الفلسطيني، حيث جاء فيها، (على أرض الرسالات السماوية إلى البشر، على أرض فلسطين ولد الشعب العربي الفلسطيني، نما وتطور، وأبدع وجوده الإنساني والوطني عبر علاقة عضوية، التي لا انفصام فيها ولا انقطاع بين الشعب والأرض والتاريخ... إن دولة فلسطين هي للفلسطينيين أينما كانوا؛ فيها يطورون هويتهم الوطنية والثقافية، ويتمتعون بالمساواة الكاملة في الحقوق، وتسان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الإنسانية، في ظل نظام ديمقراطي برلماني، يقوم على أساس حرية الرأي وحرية تكوين الأحزاب ورعاية الأغلبية حقوق الأقلية واحترام الأقلية قرارات الأغلبية، وعلى العدل الاجتماعي والمساواة وعدم التمييز في الحقوق العامة على أساس العرق أو الدين أو اللون أو بين المرأة والرجل، في ظل دستور يؤمن سيادة القانون والقضاء المستقل وعلى أساس الوفاء الكامل لتراث فلسطين الروحي والحضاري في التسامح والتعايش السمع بين الأديان عبر القرون)².

¹ - القسراوي بركات، وجمال خضر، 2011، مبادئ الحوار بين الأديان في ظل النزاعات (فلسطين نموذجاً) ، جامعة بيت لحم ، فلسطين

<http://blog.amin.org/najeebfarraj/2011/01/09>

² مركز المعلومات الوطني الفلسطيني (وفا)، 2011، وثيقة اعلان الاستقلال الفلسطيني، 1988،

<http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3741>

هدف الورقة

تهدف هذه الورقة إلى إبراز ثقافة اللاعنّف في المجتمع الفلسطيني، باعتبارها التعبير الحقيقي عن هذا المجتمع الذي اتسم بالتسامح واللاعنف عبر تاريخه الطويل، وكيف نجح المجتمع الفلسطيني في معالجة كافة خلافاته الداخلية وخاصة المجتمعية منها، ومواجهة كافة مشاكله بثقافة لاعنفيه حافظت على الدوام على نسيجه الاجتماعي وسلمه الأهلي.

ماهية ثقافة اللاعنّف

لم تعد ثقافة اللاعنّف ترفاً فكرياً، بل أصبحت ضرورة مصيرية، ومقدمة لإنهاء دورات العنف المغلقة المهلكة، وفتح طريق التطور السلمي والتحول الديمقراطي. ولا يمكن لمثل هذه الثقافة أن تنتشر وتتوطد من دون بذل جهود مضمّنية في خلايا المجتمع الحية كلّها لإقامتها على أنقاض ثقافة العنف، من البيت، إلى المدرسة، إلى الأحزاب السياسية والفعاليات الفكرية، إلى الدولة بجميع مؤسساتها... فحين يزدهر العنف، تنمو أسوأ الدوافع الغريزية والأنانية على حساب التفكير السليم، ومع صعوده، يحمل العنف مخزونات الانقسامات والتناقضات الموروثة كلّها، وأكثر أشكال الوعي تخلّفاً وشراسة. ولكي يتمكن العنف من البقاء، يعمل باستمرار على الحطّ من إنسانية الإنسان (الحضارة والثقافة، الروح الدينية الحقيقية، التسامح والمحبة)، كل تلك القيم العظيمة يجري تحطيمها على مذبح العنف؛ ومن أشلائها يستمد العنف غذاءه للاستمرار والتمدد³. يمكن تعريف العنف بتعريفات متعددة، ولعل من أفضلها أن العنف هو: استخدام القوة المعتدية. وفي المقابل، تقوم ثقافة السلم على حقيقة (أن الآخر هو أنا) وأن السبيل الوحيد لمعالجة مشكلات التهميش واللامبالاة والكراهية والعدالة في المجتمع هو معرفتنا بالآخرين واحترامهم ووقف الانتهاك واستخدام العنف⁴. فيما تعرفه الأمم المتحدة باعتباره "أسلوب يستطيع به الناس الذين يرفضون السلبية والخضوع، والذين يرون أن الكفاح ضروري، أن يخوضوا صراعهم بدون عنف. والعمل اللاعنفي ليس محاولة لتجنب أو تجاهل الصراع. بل هو استجابة لمشكلة كيفية العمل بفعالية في مجال السياسة، لاسيما كيفية استخدام القدرات بفعالية"⁵.

أي أنه مجموعة من الجهود المنظمة تقوم بها أفراد أو جماعات رفضاً لأمر قائم أو تعديلاً له أو استبداله بوضع جديد مستخدمة في ذلك أساليب سلمية أقرتها القيم الديمقراطية وفق الحريات التي أتاحها ويتيحها الدستور الناظم للبلاد، وقد تكون مخالفة له بشكل مطلق.

فاللاعنف مفهوم "مقاوم" يتضمن رفض الرد على العنف بالعنف، أي الخروج من سلسلة الصراع المبني على العنف والعنف المضاد، وهو بلورة لأقصى درجات الإنسانية وأرقاها يجسد ممانعة حقيقية صارمة من خلال اللاتعاون مع كافة الأشكال المؤدية إلى الظلم، إن عملية رفض تبني خيار العنف يعني رفض الخضوع لمنطق العنف والرد عليه بمثله. لأن الخروج من دائرة ردود الأفعال يعني الانتقال إلى مستوى آخر من المنطق وفهماً أعلى للعلاقات الاجتماعية⁶.

العنف الاضطراري

³ - المخلافي، محمد، 2010، حالة التسامح في الوطن العربي، الشبكة العربية للتسامح، ط1، فلسطين، رام الله. ص 12-38

⁴ - الجاروشي، صلاح الدين، 2011، مقترحات لقياس مؤشرات التسامح في العالم العربي، الشبكة العربية للتسامح، رام الله، فلسطين ص 9

⁵ الأمم المتحدة، اليوم الدولي لللاعنف، <https://www.un.org/ar/events/nonviolenceday/background.shtml>

⁶ كريدية، مروة، 2008، اللاعنّف خيار نضالي أيضاً، مجلة ايلاف،

<https://elaph.com/Web/ElaphWriter/2008/8/357991.html>

لا يقصد بالعنف الاضطراري هنا، ذلك العنف الذي تدافع به الشعوب عن حقوقها ومصائرها، بل هو العنف داخل المجتمع الواحد وبين مكوناته البنوية، إذ ليس العنف وفقاً على تيار فكري أو سياسي محدد، فلدَى التيارات الفكرية والسياسية كافة قابليةً للتحوّل إلى العنف حين يوجد مَنْ يستفيد من حالة الأزمة والكبت التي يمر بها المجتمع بين مرحلة وأخرى، فيقوم بإنهاء منطق الحوار والعقل وقطع الطريق عليه وتسويق العنف.

إذا لم يكن استخدام القوة اعتداءً فلا يمكن أن يعد ذلك عنفاً، ولذا فإن الدفاع عن الوطن في مقابل هجوم العدو الغاشم الذي لا طريق إلى دفعه، ليس عنفاً بحسب كافة الاعراف الدولية، بل هو أمراً مشروعاً، بل وضرورياً، ولا يمكن أن يعد ذلك مظهراً من مظاهر العنف بأي شكل من الأشكال. فالعنف مقبول في مواضع عدة منها، رد العنف ذاته، حيث لا يمكن التسامح مع الاحتلال الغاشم على سبيل المثال .

العنف المجتمعي

إن وجود التناقضات الاجتماعية لا يبرّر العنف، كما أن العنف ليس نتيجة بسيطة لوجودها؛ بل إن هنالك مصدراً آخر للعنف هو ثقافة العنف، وسواء أنتت هذه الثقافة محمولة على نظريات جاهزة (كالعنف الثوري ونظريات التكفير)، أو أنتت عبر تدفق متفرق من أفكار ذات مصادر متعددة، كالتعصب القبلي والمذهبي والقومي، فإن ثقافة العنف تلعب الدور الحاسم في قلب التناقضات الاجتماعية السلمية إلى تناقضات عنيفة، لا تتوقف حتى تدمر طاقة المجتمع وتُهلك الحرث والنسل .. فهناك علاقة جدلية بين مثلث (العدل والأمن والحريات) حيث ينعكس كل طرف على الآخر، فلا يمكن أن تنطلق الحريات في مجتمع بدون قدر كاف من الأمن، ولا يترسخ الأمن بدون وجود العدل، العنف لا يحل المشاكل بل يعقدها أكثر ويولد المزيد من العنف، أما السلم فلا يؤدي إلا إلى مزيد من السلم ولو على المستوى الزمني البعيد⁷.

عنف الدولة

ولد عنف الدولة مع ولادة النظام السياسي، فهي التي تحتكر العنف الجسدي الشرعي، ومع احتكار الدولة آلة العنف ظهرت القوانين التي تنظم علاقات الأفراد، فالدولة، كنظام سياسي، لها وظيفة أولى هي توفير الأمن داخلها للأفراد باستخدام العنف كلما اضطرت إلى ذلك، ويظهر هذا واضحاً في منظر رجل الشرطة، والمسدس يتدلّى من خصره، حينما يُستدعى للفصل في حادث سير، وفي أيّ مكان من العالم، فداخل أية دولة في العالم تمارس الدولة إذا لزم الأمر، القوة المسلحة لتطبيق القوانين داخلها وللدفاع عن نفسها عند الهجوم عليها من الخارج في الحروب⁸.

النضال اللاعنفي

يعرف النضال اللاعنفي باعتباره مجموعة مفاهيم ومواقف واستراتيجية وتكتيكات متكاملة، وذات منطق خاص بها، وهو خيار استراتيجي تختاره الشعوب لقناعتها بأنه وسيلة ناجعة وفعالة ومتاحة في ظروف موضوعية الراهنة. ولأنه يلائم احتياجاتها، إذ انه ينقل المعركة من المواجهة العسكرية (حيث يملك العدو التفوق الواضح في السلاح والتدريب والامدادات

7 -المخلافي، محمد، مرجع سابق، ص120

8 - الجاروشي، صلاح الدين، مرجع سابق، ص160

والسيطرة على الارض، ...الخ) الى مواجهة معنوية من نوع آخر قوامها الإيمان والقيم والأخلاق والقانون والشجاعة والاستعداد للتضحية وتجديد التضامن والقوة الداخلية اعتقاداً منه بان في تلك المواجهة أفضلية واضحة على العدو الغاشم الذي يستند بالدرجة الاولى الى قوته العسكرية وبطشه المسلح.⁹

بمعنى آخر يمكن أن نخلص إلى أن النضال اللاعنفي هو أسلوب للتحكم بالصراع بواسطة الاستعانة بأسلحة نفسية سيكولوجية، اجتماعية، اقتصادية، وسياسية. ويشتمل على ثلاثة أساليب للنضال¹⁰:

- 1- الأساليب والأشكال الرمزية للاحتجاج بلا عنف (مثل الاعتصامات، المسيرات ورفع الأعلام).
- 2- عدم التعاون (وهو يتضمن المقاطعة الاجتماعية، الاقتصادية، اضراب العمال، واشكال متعددة غيرها مثل عدم التعاون السياسي والتي تتراوح من انكار الشرعية الى العصيان المدني والتمرد)
- 3- الهجوم اللاعنفي (ويتراوح من الاضرابات عن الطعام الى احتلالات لا عنفيه ووضع الحواجز، واقامة واقامة مؤسسات متعددة على نفسها حتى اقامة حكومة منافسة وموازية للسلطة.

المقاومة المدنية شكلاً من أشكال النضال اللاعنفي

تعتبر المقاومة المدنية والتي انتهجتها العديد من الشعوب وحركات المقاومة في العالم مثل غاندي في التجربة الهندية، وماندبلا في تجربة جنوب أفريقيا، ومارتن لوثر في النضال الديمقراطي في الولايات المتحدة، من أبرز التجارب الدولية في النضال اللاعنفي، والتي نجحت في لعب أدوارا جوهرية في تعزيز حقوق الإنسان، وتعزيز الحكم الديمقراطي، والحد من الفساد، وكانت عامل حاسم في معالجة الأسباب الجذرية للمعاناة البشرية، والحد من العنف المميت في العالم والمساهمة في بناء السلام. خصوصاً وأنها كانت مدفوعة بالطاقة والمبادرة الشعبية، ولا يمكن للجهات الخارجية التحكم بها. ومع ذلك، يمكن للجهات الخارجية أن تلعب دوراً مهماً في توسيع المساحة السياسية داخل المجتمعات المختلفة، وتثبيط قدرات وأفعال الخصوم القمعيين، والاستجابة للاحتياجات التي تعبر عنها الحركات. يمكن اعتبار أفعال الجهات الخارجية المتعاطفة امتداداً لما تتطلبه الحركة من نجاح في الوصول إلى هدفها¹¹.

نماذج فلسطينية من اللاعنف

يخفل التاريخ والواقع الفلسطيني بالعديد من النماذج التي نجح الفلسطيني على الدوام في ابتكارها لمواجهة ثقافة العنف في المجتمع الفلسطيني، ولطالما بحث الفلسطيني في جنبات ثقافته وتاريخه عن الضمانات والوسائل والآليات التي تحمي وتصون السلم الأهلي داخل المجتمع الفلسطيني رغم ما تعرض له من ويلات ومصائب كانت كفيلة بتمزيقه وتشريده

⁹ جوانثان، كتاب، 2012، المقاومة الشعبية/ اللاعنف، المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية، مفتاح،

<http://miftah.org/arabic/Display.cfm?DocId=13481&CategoryId=2>

¹⁰ شارب، جين، 1989، الانتفاضة والنضال بلا عنف، المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف، بيت لحم، فلسطين، ص2

¹¹ <https://www.nonviolent-conflict.org/for-policy-community-landing/>

وتفتت بنيتها الاجتماعية، إلا أن إصراره وعناده وإيمانه القوي بذاته وقدراته أكسبها الصلابة والقدرة على التحمل واجتراح الأدوات القادرة على معالجة أزماته الاجتماعية والسياسية وهنا نستعرض نماذج فلسطينية لاعنفية ناجحة في الحفاظ على تماسك المجتمعي الفلسطيني وهي:

• التحكيم والوساطة في مواجهة العنف كبديل فعال عن قوانين المستعمر وضمانة للسلم الأهلي

حالت الظروف الموضوعية الناجمة عن الاحتلال المتتالية للشعب الفلسطيني، دون تطور منظومته القانونية التي توجب عليه اتباعها في معالجة المشاكل والخلافات المجتمعية التي قد تظهر لدى المجتمع أسوة ببقية المجتمعات. وكان لدى الفلسطيني على الدوام الرفض المطلق للتعامل مع المنظومات القانونية التي أقرها سواء الانتداب البريطاني، أو الاحتلال الإسرائيلي، مما شكل لدى الفلسطيني على الدوام ما يمكن أن نطلق عليه "رفضاً نفسياً"، التقدم بشكوى ضد أخاه الفلسطيني لدى جهاز الشرطة التابع للمستعمر.

و لقد مر مجتمعنا الفلسطيني فعلاً بالعديد من مظاهر العنف، والإساءة، والتباغض، والكراهية الطارئة، نتيجة العديد من الظروف التي يزرعها العابثون أو المستهترون أو أصحاب المصالح وأذرع الاحتلال؛ إلا أن البنية الاجتماعية الفلسطينية عبر تاريخها الموعل في القدم والتي تؤكد طبيعة هذا المجتمع السلمية التعاونية المتحابية، ساهمت في قدرة المجتمع على ابتكار البدائل الملائمة التي تمكنه من مواجهة العنف المجتمعي دون اللجوء إلي المحتل، فابتكر المجتمع الفلسطيني من موروثة الثقافي مصطلح "التحكيم والوساطة" والذي يستند إلي موروثة ثقافي وديني وأخلاقي، وهو ما يمكن أن نطلق عليه (العقد الاجتماعي الفلسطيني الخاص) في التعامل مع العنف والخلافات المجتمعية، وذلك على الرغم مما يعتليه من الشوائب والنواقص، إلا أنه كان في مراحل متعددة من التاريخ الفلسطيني ضمانة نسبية للسلم الأهلي وفي ذات الوقت بديلاً فعالاً عن قوانين المستعمر، لتصبح أشبه بعقد اجتماعي توافقي بين الكل الفلسطيني على اختلاف مشاربهم وافكارهم¹².

• ثقافة الحوار في مواجهة الاختلالات البنيوية في المجتمع

ككل المجتمعات في العالم تعرض المجتمع الفلسطيني إلى اختلال بنيوي مس جوهر ثقافة اللاعنف لديه وذلك في أحداث حزيران الدامية 2007/6/14، والتي نتج عنها انقسام سياسي، وتمزيق مجتمعي، لا تزال نعاني منه وطنياً ومجتمعياً حتى الآن، إلا أن ثقافة الحوار نجحت مبكراً في استعادة عافيتها عبر مبادرات محلية فلسطينية من قبل المنظمات الأهلية الفلسطينية المؤمنة بثقافة الحوار والتصدي لثقافة اللاعنف، فكانت على سبيل المثال مؤسسة بال ثينك للدراسات الاستراتيجية أول من نجح في جمع الفرقاء الفلسطينيين على الطاولة الحوار متقدمة بذلك على دول إقليمية وقوى سياسية، لتبدأ بعدها سلسلة طويلة من الحوارات من أجل انجاز المصالحة الوطنية، والتي لا تزال تعاني من مد وجزر بين الفينة والأخرى، كما نجحت في تقديم ورقة لمعالجة ملف الموظفين ضمن جولات المصالحة في وقت لاحقاً والمعروفة باسم (الورقة السويسرية).

¹² وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، القضاء العشائري في فلسطين، http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9238

إلا أن المهم هنا هو إبرازه قدرة المنظمات الأهلية الفلسطينية بمختلف مجالاتها على إعادة البوصلة الفلسطينية إلى الاتجاه الصحيح في معالجة الاختلال الحاصل، ووقف سيل الدم المتدفق، واستعادة الحوار كثقافة ووسيلة في مواجهة الأزمات¹³. ومن ناحية أخرى نجحت المنظمات الأهلية الفلسطينية في معالجة آثار الإنقسام ومخلفاته المريرة، من خلال سلسلة لا متناهية من المبادرات المجتمعية والأنشطة الفعالة والتدخلات المنهجية في محاولة منها لتكريس ثقافة التسامح داخل المجتمع الفلسطيني، باعتباره البديل الحقيقي والأنسب عن ثقافة اللاعنف في المجتمع، ومواجهة خطاب الكراهية الناجم عن الاحتقان السياسي.

كما سجلت المنظمات الأهلية نجاحاً نسبياً وملحوظاً في انتهاج ثقافة الحوار لمواجهة كافة أشكال العنف في المجتمع الفلسطيني، وخصوصاً العنف الأسري والعنف المبني على النوع الاجتماعي، ونجحت في رفع منسوب الوعي المجتمعي بثقافة التسامح كمدخل هام وحيوي في حماية السلم الأهلي والنسيج المجتمعي الفلسطيني.

• الفن في مواجهة العنف

ربما يميل البعض إلى الاعتقاد الشائع بأنه في أوقات الحروب والكوارث، يتراجع فيها دور الفن في مواجهة العنف والدماء والموت، إلا أن لمؤرخي ونقاد الفن رأي مخالف باعتبار إن أوقات الحروب والكوارث متزامنة مع التطورات والعلامات الكبرى في الفن.

ولقد نجح الفلسطينيون في معالجة العديد من أزماتهم المجتمعية والثقافية من خلال توظيف الفن الذي أضى أحد الوسائل الفاعلة في مواجهة العنف بمختلف أشكاله، فبعد أن وظف الفلسطيني الفن في حفظ هويته، وتأكيد روايته الوطنية من خلال الأغاني والأشعار والرسومات، عاد مع الألفية الجديدة في مواجهة أزماته المجتمعية والعنف المتنامي في المجتمع من خلال الموسيقى والرسومات، فكانت الجداريات المنتشرة في كافة أنحاء شوارع غزة وسيلة من وسائل التوعية المجتمعية في مواجهة ثقافة العنف، إضافة إلى توظيف المسرح التفاعلي باعتباره من الوسائل الناجعة في مواجهة ثقافة العنف وهو ما يعمل " أيام المسرح"، أو الموسيقى مثل حالة معهد إدوارد سعيد للموسيقى، والتي يسعى منه خلاله الشباب على فرض مزاجا جديد في الحالة الفلسطينية وخصوصاً في قطاع غزة الذي يعاني من أوضاع إنسانية متدهورة بفعل الحصار المفروض عليه منذ 13 عام، حيث تصدح حناجر شبان من الجنسين في حفلات عامة نادرة تقام ضمن فعاليات "مهرجان البحر والحرية" الذي للعام السادس على التوالي في القطاع. وترى المطربة ومؤلفة الأغاني يارا أيوب، وهي إحدى المشاركات في تلك الفعاليات، إن رسالتهم هي تقديم صورة مغايرة لغزة تؤكد قدرة الشبابات على الإبداع بالموسيقى والفن ومساهمة من أجل تعزيز ثقافة الموسيقى ونشرها في صفوف سكان قطاع غزة الذين يعانون بفعل الحصار"¹⁴.

هناك العديد أيضاً من التجارب، والمعارض الفنية مثل محترف شبابيك للفن المعاصر، وغيرها من الوسائل الفنية التي تحاكي قضايا العنف في المجتمع الفلسطيني، وتحاول تعزيز ثقافة التسامح واللاعنف داخل المجتمع، ولقد بدأ المجتمع في الآونة الأخيرة في التفاعل بإيجابية مع هذه الوسائل الفنية الراقية خصوصاً مع انتشار الاعلام المجتمعي.

¹³ بال ثينك للدراسات الاستراتيجية، تجمع المؤسسات الأهلية للمصالحة الفلسطينية، [/http://cbo.palthink.org](http://cbo.palthink.org)

¹⁴ العرب، 2019، الشباب يفرضون مزاجاً جديداً على غزة، مهرجان البحر والحرية يتغنّى بتراث غزة وجمالها في مبادرات ثنائية مختلطة،

<https://alarab.app/%9>

من ناحية أخرى نجح الفن الفلسطيني بمختلف أشكاله أيضاً في إبراز صورة الواقع في قطاع غزة من خلال ما يقدمه الفنانون من أعمال فنية قدمت للعالم صورة عن واقع الحصار والدمار الإسرائيلي في قطاع غزة، وربما كانت تجربة محمد عساف في البرنامج العربي الشهير "أرب ايدل"، واحدة من الرسائل القوية من قبل الفن الفلسطيني الذي نجح من خلاله عساف في توحيد الشعب الفلسطيني على اختلاف أماكن تواجده في الوقت الذي فشل السياسيين في تحقيقه، إضافة لما للصورة المختلفة التي قدمها للعالم عن الحياة في غزة عن الصور التي تقدمها نشرات الأخبار، وربما في الآونة الأخيرة نجحت أيضاً فقرة صول للغناء في لفت انتباه الكل داخل قطاع غزة للفن باعتباره أحد أرقى الوسائل الممكنة لتوظيفها في استعادة وحياء التراث الوطني والقيم الاجتماعية¹⁵.

الفن كوسيلة للتعبير عن طموحات الفئات المهمشة في المجتمع:

لم يستسلم المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة للأزمات الإنسانية المتلاحقة والتي تعصف بكافة بناها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بفعل سياسة الحصار الإسرائيلي الجائر، والانقسام الفلسطيني الداخلي، وارتفاع معدلات البطالة والفقر في المجتمع، فابتدع من الفن وسائل للتعبير عن طموحات كافة الفئات المجتمعية وخصوصاً الشباب الذي وظف الفن في التعبير عن كافة قضايا الاجتماعية والاقتصادية، فحول حطام المنازل المدمرة بفعل العدوانات الإسرائيلية إلى لوحات فنية توثق الجريمة الإسرائيلية في صورة إنسانية راقية، وكان مهرجان السجادة الحمراء الهادف إلى إحياء الحياة السينمائية والثقافية في غزة، من خلال أفلام تركز على حقوق الإنسان¹⁶، وقضايا الشباب وحقوقهم.

كذلك تم توظيف الموسيقى كأداة من أدوات تغيير المزاج الشعبي نحو الانفتاح على الآخر وقبوله في المجتمع الفلسطيني، فكانت الفرق الموسيقية مثل صول والتي أشرنا إليها سابقاً، ومعهد إدوارد سعيد لتبني المواهب الموسيقية واحدة من الأدوات الفاعلة في تنمية مهارات الشباب والأطفال والفنية وتوظيفها لمحاكاة قضايا مجتمعية وشبابية. على الجانب الآخر كانت حملات الضغط والمناصرة بكافة تكتيكاتها واحدة من الأدوات الإبداعية التي عمل من خلالها المجتمع على معالجة أزماته المجتمعية المرتبطة بالبطالة والفقر، والهجرة، والعنف، وغيرها، فابتدع الفلسطيني حملات التوقيع وحشد المواطنين لمناصرة الحقوق الإنسانية، فوظف الجداريات الفنية على الجدران، واللوحات الفنية التشكيلية من خلال المعارض الفنية، وحملات التوقيع .. وغيرها كأدوات لإحداث التغيير.

¹⁵ البياري، معين، 2013، محمد عساف يوحد الفلسطينيين، شبكة نوى، <https://www.nawa.ps/ar/post/4179>

¹⁶ - مهرجان السجادة الحمراء في غزة،

<http://hadfnews.ps/post/62563/%D8%A7%D9%86%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82-%D9%85%D9%87%D8%B1%D8%AC%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AC%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D9%81%D9%8A-%D8%BA%D8%B2%D8%A9>

من جهة أخرى نشطت الحركة الفنية كأداة من أدوات حقوق الإنسان، فكانت الأفلام الوثائقية في مناقشة قضايا حقوق الإنسان، سواء المرتبطة بحقوق المرأة أو الشباب، أو الأفلام التي وثقت الانتهاكات التي يتعرض لها المزارع الفلسطيني في المناطق الحدودية، أو الصياد ف البحر .

لقد عكس الفن بكل توجهاته ادواته المتاحة الواقع اليومي المعاش، واشتبك مع كافة القضايا في محاولة منه لمعالجتها على مستوى البنية الفكرية للمجتمع.

• الرياضة تُصلح ما أفسدته السياسة

سادت صورة نمطية سلبية عن الآخر الفلسطيني عقب الانقسام بين شطري الوطن (الضفة وغزة)، ساعد الاحتلال بصورة كبيرة على إعادة رسمها عبر سياساته الاقصائية بمنع التواصل بين قطاع غزة والضفة الغربية، ومع استمرار حالة الانقسام وغياب الوحدة الفلسطينية، باتت تتشكل على ضفاف هذا الواقع صوراً نمطية عن الآخر في كلا الطرفين، إلا أن الرياضة الفلسطينية أعطت فرصة جديدة لمن فرقهم الانقسام والجغرافيا بإعادة حساباتهم، لتجهم الجغرافيا من جديد، من خلال مباريات كرة القدم مثل نهائي كأس فلسطين بين أهلي الخليل وشباب الشجاعية، حيث كانت الحفاوة والتكريم المتبادل بين الفريقين والجمهور في مباراتي الإياب والذهاب فرصة سانحة لتصحيح هذه الصورة السلبية التي تركها الانقسام والاحتلال مجتمعين، ونجحت الرياضة بذلك في وأد جذور لثقافة العنف باتت تتأصل بفعل غياب الترابط المجتمعي وانعدام التواصل، لتكون الرياضة الفلسطينية وسيلة من وسائل التوحد الوطني وتصحيح الصور النمطية القائمة في الواقع الفلسطيني¹⁷.

الخاتمة

تركت الانعكاسات السياسية آثارها على المجتمع الفلسطيني بمختلف جنباته، وضربت بعمق بنية الاستقرار المجتمعي والتماسك الأهلي لدرجة باتت فيها التربة خصبة جدا لتنامي ثقافة العنف، والتي حملت معها كل أشكال التمايز السياسي والاجتماعي كميّار أساسي في شبكة العلاقات الاجتماعية، بل ويمكن القول أن هناك حالة من اللا معيارية تضرب بعمق في بنى المجتمع الفلسطيني، والذي أصبح مرهون بتلك اللا معيارية في التعامل مع كافة القضايا التي تواجهه. وهذه الحالة ناتجة دون شك التراجع الواضح لثقافة التسامح والحوار المبني على التنوع والتعددية وتلاقح الأفكار .

إلا أنه وبالرغم من هذا كله يبقى لدى المجتمع الفلسطيني من الوسائل ما يمكنه من مواجهة ثقافة العنف، خصوصا وكما أوضحت النماذج السابقة قدرة المجتمع الفلسطيني على اجترار أدواته ووسائله الخاصة في معالجة أزماته ومشاكله وخصوصا التصدي لثقافة العنف بوسائل لاعنفية ناجعة.

إن ما يحتاج إليه المجتمع الفلسطيني الآن هو الإيمان بقدرته على النجاح والعبور لشط الأمان من براثن العنف المتربص به على كافة المستويات، وهو ما تحاول العديد من المنظمات الاهلية المؤمنة بأهمية تعزيز ثقافة اللاعنف والتسامح

¹⁷ شراب، محمد، 2019، الرياضة توحد شطري الوطن.. شباب الخليل لأول مرة على أرض غزة، وطن للأنباء،

<https://www.wattan.net/ar/news/280218.html>

باعتبارهما المدخل الصحيح لاستعادة الأمل في الوحدة وانتهاء الإنقسام وتحقيق الحلم الذي طال انتظاره في بناء مجتمع حدائي ومتطور، قادر على معالجة أزماته دون اللجوء إلى خيار العنف.

المراجع

- الامم المتحدة، اليوم الدولي اللاعنف، <https://www.un.org/ar/events/nonviolenceday/background.shtml>
- المخلافي، محمد، 2010، حالة التسامح في الوطن العربي، الشبكة العربية للتسامح، ط1، فلسطين، رام الله.
- بال تينك للدراسات الاستراتيجية، تجمع المؤسسات الأهلية للمصالحة الفلسطينية، <http://cbo.palthink.org>
- الجاروشي، صلاح الدين، 2011، مقترحات لقياس مؤشرات التسامح في العالم العربي، الشبكة العربية للتسامح، رام الله، فلسطين.
- جوانثان، كتاب، 2012، المقاومة الشعبية/ اللاعنف، المبادرة الفلسطينية لتعميق الحوار العالمي والديمقراطية، مفتاح، <http://miftah.org/arabic/Display.cfm?DocId=13481&CategoryId=2>
- شارب، جين، 1989، الانتفاضة والنضال بلا عنف، المركز الفلسطيني لدراسات اللاعنف، بيت لحم، فلسطين.
- العرب، 2019، الشباب يفرضون مزاجا جديدا على غزة، مهرجان البحر والحرية يتغنى بتراث غزة وجمالها في مبادرات ثنائية مختلطة، <https://alarab.app/%9>
- القسراوي بركات، وجمال خضر، 2011، مبادئ الحوار بين الأديان في ظل النزاعات (فلسطين نموذجا)، جامعة بيت لحم، فلسطين <http://blog.amin.org/najeebfarraj/2011/01/09>
- كريدية، مروة، 2008، اللاعنف خيار نضالي أيضاً، مجلة ايلاف، <https://elaph.com/Web/ElaphWriter/2008/8/357991.html>
- المخلافي، محمد، 2010، حالة التسامح في الوطن العربي، الشبكة العربية للتسامح، ط1، فلسطين، رام الله. ص 12-38
- مركز المعلومات الوطني الفلسطيني (وفا)، 2011، وثيقة اعلان الاستقلال الفلسطيني، 1988، <http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3741>
- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، القضاء العشائري في فلسطين، http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9238
- البياري، معين، 2013، محمد عساف يوحد الفلسطينيين، شبكة نوى، <https://www.nawa.ps/ar/post/4179>
- شراب، محمد، 2019، الرياضة توحد شطري الوطن.. شباب الخليل لأول مرة على أرض غزة، وطن للأبناء، <https://www.wattan.net/ar/news/280218.html>
- مهرجان السجادة الحمراء في غزة، <http://hadfnews.ps/post/62563/%D8%A7%D9%86%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82-%D9%85%D9%87%D8%B1%D8%AC%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%AC%D8%A7%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D9%81%D9%8A-%D8%BA%D8%B2%D8%A9>